

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ

هم العدو فاحذرهم

(099) سورة الزلزلة

2028-02-22

سورية - دمشق

جامع عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفرغ آلي سيتم إضافة النص المنسق قريباً

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد. أحق ما قاله العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. غنى كل فقير وغر كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف. فكيف نفتقر في غناك؟ وكيف نضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف نضام في سلطانتك؟ وكيف نخشى غيرك والأمر كله اليك. واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله خير ما جرى نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً. وبعد. أيها الأخوة الكرام، ففي جسم الإنسان عدة صغيرة وزنها عند الولادة خمسة عشر جراما تقريبا بجوار القلب اسمها الغدة الصعترية أو التيموس. وهذه الغدة لها مهمة خطيرة في جسم الإنسان ومهمتها تدريب الخلايا اللغافوية على معرفة العدو.

تدرب الخلايا على معرفة العدو ومواجهته. وتكون هذه الغدة كبيرة في السنوات الأولى من عمر الطفل. ثم تضمر شيئا فشيئا بعد البلوغ. بعد أن تركت في الجسم ذاكرة مناعية يستطيع الجسم من خلالها معرفة عدوه ومهاجمته والقضاء عليه. هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين. تكلم الله المربي جل جلاله بجسمنا أن يعرفه أعداءه حتى لا يدخل إليه جسم غريب وباعديه وهو لا يدري. تكفل المربي رب العالمين بجسمنا أن يعرفنا أعداءنا. وكلفنا أن نعرف أعداءنا في الدنيا والاخرة. الذين يكيدون لنا ويريدون بنا شرا لنتقي شرهم. ونجو ديننا. ونستحق جنة ربنا. الحقيقة الأولى. ليس هناك حياة ورعية خالية من الأعداء. منذ ان خلق الله الخليقة. خلق حقا وباطلا. والحق والباطل يصطراكان. وهذا مفهوم العداوة. فإذا كنت على الحق. فأنت عدو للباطل. ومن كان على باطل فهو عدو للحق. وهذه سنة المدافعة من أول يوم خلق فيه آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. اما الحياة الوردية الخالية من الأعداء سلم وامان. وليس هناك عداوات. فهي في أذهان الحالمين فقط. ليس لها وجود على ارض الواقع. منذ ان خلق الله آدم عليه السلام بدأت عداوة الشيطان له من اللحظة الأولى.

قال تعالى مخاطبا آدم عليه السلام ان هذا اي الشيطان ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. حتى ربنا جل جلاله مالك الملك رب العالمين المنعم المتفضل الذي بمدنا بما نحتاجه من نعمة الإمداد ونعمة الإيجاد ونعمة الهدى والرشاد. حتى ربنا الذي أعد لنا جنة عرضها السماوات والأرض. حتى ربنا الذي خلقنا لنرج عليه. لا ليرج علينا. وأعد لنا جنة عرضها السماوات والأرض. له أعداء. قال تعالى ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون. وقال أيضا. من كان عدوا لله عدوا لاهل بيته وكل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين. أردت من المقدمة أن أقول ليس هناك امرؤ إلا له عدو. بروي. والرواية هنا للاستئناس لا للابتاث أن موسى عليه السلام ناجى ربه في الليل فقال يا رب لا تبق لي عدوا. فقال له يا موسى هذه ليست لي، ليس هناك جهة في الأرض لا عدو لها هذه حقيقة. أيها الأخوة الكرام. والعداوة عداوة، عداوة حال وعداوة عداوة الحال عدو ظاهر بين يريد بك شرا، يكيد لك، يتآمر عليك. واضح وعداوة المقال لا تظنه عدوا، لكنما الله من أشد الأعداء.

قال تعالى. يا ايها الذين امنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. فد تكون الزوجة عدوا لزوجها. وقد يكون الزوج عدوا لزوجته. وقد يكون الأولاد أعداء لابائهم وأمهاتهم. كيف ذلك؟ الزوجة التي تدفع الإنسان في الدنيا. أن يأكل المال الحرام من أجل أن يؤمن لها ما تحتاجه هي عدو لزوجها. عداوة. مال. الزوج الذي يترك زوجته تخرج كما يحلو لها في الطرقات دون لباس شرعي. عدو لزوجته. يا ايها الذين امنوا فوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة. وهو لم يفعل. الأولاد الذين يلجئون ابائهم الى ان يبيعوا دينهم من أجل ان ان يعلموهم في مدارس محددة. يلجئون هم ان يفعلوا ما يحلو لهم. دلالا على الأب. هم أعداء لوالديهم. ايها الاخوة الكرام. هذه عداوة المال. إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم. أي في المال فاحذروهم. وجب التحذير من هذه العداوة لأنها غير ظاهرة. ومن أعظم أعداء الإنسان الجهل. والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به. العدو الحقيقي الظاهر لا يبال من الإنسان كما يبال منه جهله. لذلك قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فرصة على كل مسلم لأن الجهل عدو من أعدى أعداء الإنسان.

أيها الكرام عدو الإنسان الأول الشيطان، وكل من بعده تبع له، والشياطين نوعان شياطين الإنس وشياطين الجن. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا. لكل نبي عدوا. لما ذهب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل. قال له ورقة ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فلما مثل بين يدي رئيس المخفر سأل رئيس المخفر هل دفعت إلى الحفرة؟ قال لا. قال هل أشهر في وجهك مسدسا حتى تنزل مكربها؟ قال لا. قال فما الذي فعله إذن؟ أنا المعروف نسبيا. أنا المعروف أيضا وصفدا أومخرجي هم. فقال ورقة. قال ما أتني نبي بمثل ما أتيت به إلا عودي. لا بد من أن يعاديك الناس. أنت تريد أن تخرجهم من الظلمات إلى النور. وهم يرون أنك تريد أن تقضي على مصالحهم فسيعاد إليك الناس. أيها الاخوة. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. قدم شياطين الإنس على شياطين الجن. تقديم أهمية. لأن شيطان الجن لا يملك إلا الوسوسة. ما عنده أسلحة ولا قوات ولا قتاليل ولا طائرات ولا مسيرات. عنده وسوسة ويخنس. إذا استعذت بالله تعالى من شر الوسواس الخناس.

هذه إمكانياته ما أعطاه الله إمكانيات فوق ذلك. لذلك يقول. لا سلطان لي عليكم إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي. لم يجعل الله تعالى له سلطانا. لا يملك إلا أن يوسوس. كمثل إنسان اشتكى إلى مخفر الشرطة. بأن رجلا من الناس أساء إليه. وأوقعه في حفرة. فكسرت أضلاعه. فلما مثل بين يدي رئيس المخفر سأل رئيس المخفر هل دفعت إلى الحفرة؟ قال لا. قال هل أشهر في وجهك مسدسا حتى تنزل مكربها؟ قال لا. قال فما الذي فعله إذن؟ أنا المعروف نسبيا. أنا المعروف أيضا وصفدا أومخرجي هم. فقال ورقة. قال ما أتني نبي بمثل ما أتيت به إلا عودي. لا بد من أن يعاديك الناس. أنت تريد أن تخرجهم من الظلمات إلى النور. وهم يرون أنك تريد أن تقضي على مصالحهم فسيعاد إليك الناس. أيها الاخوة. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. قدم شياطين الإنس على شياطين الجن. تقديم أهمية. لأن شيطان الجن لا يملك إلا الوسوسة. ما عنده أسلحة ولا قوات ولا قتاليل ولا طائرات ولا مسيرات. عنده وسوسة ويخنس. إذا استعذت بالله تعالى من شر الوسواس الخناس.

لكن الشيطان لكم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين. مبين ظاهر لا تخفى عداوته، يريد أن يصل بالإنسان إلى النار، حتى في الدنيا لا تخفى عداوته لأنه يأمر بالسوء والفحشاء، وأي عدو أعظم من أن يؤمر الإنسان بسوء أو بالفحشاء مبتكر في الأقوال والأفعال. فالشيطان عدو مبين ومع ذلك يتبعه خلق كثير. قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. أمر الهي. لكن تخفى عداوته لأن له أساليب يتخفى من خلالها ويخفي مكربه. فما أساليب الشيطان؟ الأول يظهر بمظهر الناصح. لا يأتيك الشيطان ويقول لك أنا سادك. وإنما يأتيك ويقول أنا ساصلح لك أنا انصح لك. أنا أريد بك خيرا. أنا أريد لك المتعة. أنا أريد لك أيها الفتاة الحرية في التبرج. يظهر بمظهر الناصح منذ عهد ابينا آدم عليه السلام. وقاسمهما إنني لكما لمن الناصحين. اقسام قسما بالله أنا انصح لكما ان اطيب شجرة هي تلك الشجرة التي منعت ما عنها. وذاك الخلال الكثير. لا شان لكم به. يظهر بمظهر الناصح. ثانيا يزين عمل السوء لما يريد من الإنسان ان يعمل سوءا يزينه له.

كان تأتي بقمامة لها رائحة كريهة. ثم توضع في غلبة محكمة. ثم تلف بورق الهدايا ويوضع عليها شريط احمر فتزين. لكنها قمامة يزين الشيطان للإنسان عمله. قال تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم. يزينه لا يقول له هذه سرقة. يقول له هذا حقد، حقد في المال. هم لا يدفعون زكاتهم الدولة لا تعطيكم حقد. خذ الرشوة. يزين له. هذا ليس ديننا. هذا تراضي. هذه ليست فاحشة. واليوم هناك من شياطين الإنس من يخرجون على الشائشات يزينون المعاصي للناس. ثالثا. يخطو بالإنسان خطوة خطوة حتى يقع في المحطور الكبير. فهو لا يأمر الإنسان قورا بالزنا. ولكنه يبدأ من إطلاق البصر. فإذا أطلق بصره واستمرارها دفعه إلى المصافحة. ثم إلى الخلو. ثم إلى المصافحة. ثم إلى الابتسامة ثم الموعد ثم اللقاء ثم الزنى يتدرج به. لذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تتبعوا خطوات الشيطان. لا تمشي وراءه لانه سيوصلك الى المعصية الكبيرة. الرابعة والاخيرة يتنمر من الانسان بعد ان يقع في المعصية والمحطور. قال تعالى. وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم. بهذه البساطة وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم.

ما أنا بمصرحكم وما أتم بمصريحي. يتنمر من أتباعه في حركة مهينة جدا لمتنوع. وخبيثة وماكرة. يتنمر بعد ان يوقعهم في المعصية والإثم والعياذ بالله. أيها الكرام. كما قلت لكم الشياطين نوعان. شياطين الإنس وشياطين جن وشياطين الإنس. ينهجون نهج إبليس. أعداؤنا اليوم أعداء الأمة الذين يريدون ديننا وبلادنا ونبا شرا. يفعلون ما يفعله إبليس اللعين. لانهم أتباعه. ويفتقون أثره. ويتبعون أساليبه وحيله. يتحدثون عن حقوق الإنسان. وقد داسوا بحوافرهم حقوق الإنسان. يزينون اتفاقيات العار. ويسمونها اتفاقيات ابراهيم. وإبراهيم عليه السلام براء منهم. ومنها. تزين. يزينون. يظهرن بمظهر الناصح الذي يريد سلاما وأمانا. ورخاء. واستقرارا. ويصمرون. خبنا. ومكرا. وكيدا. ثم يتنراون ممن يتبعهم بعد ذلك ووثق بهم واحسن الظن بهم بعد أن يحصلوا على مرادهم منه. يحب ان تحذر أعداءنا شياطين الانس كما تحذر شياطين الجن. النظام الشيطاني البائد نموذج لشياطين كثر. وقد مرت بنا امس ذكرى مؤلمة. وما أكثر الذكريات المؤلمة المؤلمة في عهده. مجزرة الغوطة بالكيمايوي، وكانت أشد ألما فيما سمعت من وقتها على أهل دمشق، لأن من قضاوا لا يعدون عنهم إلا مئات الأمتار، وهم غير قادرين على الوصول إليهم، بل غير قادرين على الترجع عليهم علنا، بل غير قادرين على إنكار الجريمة أصلا لشدة السطوة والبطش الذي كان.

أيها الأخوة الكرام. هذا النظام الشيطاني غر كثيرين، وهو يدعي أنه يحارب الإرهاب كما تفعل الأنظمة العالمية، هو ليس بدعا، وكان بنفذ سياسته. هو كان بنفذ سياستهم في المنطقة فكان يغر الكثيرين بانه يحارب الإرهاب وزين جرائمهم كيف زينها بالممانعة والصمود والتصدي والوقوف في وجه الإمبريالية والرجعية زين جرائمه. أنا أدافع عنكم كما يفعل الشيطان. وخطابي أتباعه والمنافقين له خطوة خطوة. خطوة خطوة. حتى أوقعهم في شر أعمالهم. ثم هرب وحده وتركهم متبرئا منهم ومن نفاقهم تركهم يتجرعون الأسى والقلق والخوف وحيدن لا ناصر لهم ولا معين. فشياطين الإنس أيها الكرام يشابهون شياطين الجن في أدواتهم وأساليبهم وحيلهم. صدق الله تعالى إذ يقول. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم. وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة. يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذروهم فأنهم الله أنى يؤفكون. حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنا أعمالكم قبل ان توزن عليكم، واعلموا ان ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، وأستغفر الله. الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله الا الله ولي الصالحين.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. إنك يا مولانا سمع قريب محب للدعوات. اللهم برحمتك عمنّا واكفنا. اللهم شر ما أهنا وعمنا. وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا نلقاك وأنت راض عنا. لا اله الا انت سبحانه انا كنا من الظالمين وأنت ارحم الراحمين. وارزقنا اللهم حسن الخاتمة. واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا. انت حسينا عليك اتكالنا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا ديناا الذي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. مولانا رب العالمين. اللهم اهنا في غرة كن لهم عوناً ومعيناً وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً. اللهم أطعم جانتهم واكس عرينهم. وارحم مصابهم ودواي غريبة. واجعل لنا في ذلك عملاً مثقيلاً. يا أرحم الراحمين واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا. اللهم مجري السحاب منزل الكتاب هازم الأحزاب سريع الحساب.

اهزم الصهانية المعتدين ومن والاهم ومن أبدهم ومن وقف معهم في سر أو علن. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم انهم قد طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وأنت لهم بالمرصاد. فصب عليهم سوط من عذاب. يا ارحم الراحمين يا اكرم الاكرمين. اجعل بلادنا امنا سقاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، وأصرف عنها عداوة المعتدين ومكر الماكربين، وتأمّر المتأمرين وكيد الكائدين، ووقف الفاتمين عليها للعمل بكتابك وبسنة نبيك صلى الله عليه وسلم. عباد الله. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.